المعرفة فتركوا تراثا قيما منه المعلوم، وكثيره في قسم المخطوطات في بعض خزائن المغرب واوربا مجهول لدى الجيل الحاضر ومنه ما اندثر بسبب الحروب والكوارث، وفي تراجم هؤلاء الرجال الذين تخرجوا من هذه الجامعة كثير من المجلدات الضخمة، فهي بحقّ أقدم كلية في العالم وعنصر قوي للحركة الفكرية، وركن من أركان المدنية الاسلامية الذي لم ينهد الا بعد انحلال أوصال الحضارة، ولسوف تسترجع مجدها الغابر ان ثابر الشعب المغربي على نشر العلم والثقافة، فتقوم نهضتنا وترتكز على اصول طبيعية يشاد عليها صرح المدنية والحضارة الحق.

أحمد بن احسين النجار

مصادر المقال

القرطاس ـ جذوة الاقتباس ـ زهرة الآس (طبعة الفريد بيل) ـ الاستقصا جزء ١ ـ تاريخ العرب في اصبانيا ـ العبر جزء ٤ ـ سلوة الانفاس ـ المعجب (الطبعة المصرية) ـ فاس وكليته Fès et son Université تاليف ج. دلفان ـ الذخيرة السنية (طبعة كربونيل) ـ مغرب الغد Maroc de demain تاليف پول مارتي ـ نزهة الحادي ـ اتحاف أعلام الناس.

في هذه الحقة
خير دواء للزكام والنزلة، فاطلبوا دائماً
« أقراص فالدة » الحقيقية

غزل العقاد

(تابع للصفحة ٧)

أما طريقة العقاد فغير طريقة المبالغة العقيمة التي يقتصر عليها القاصرون، فهو اذا أراد تنبيه السامع أو القارئ عمد الى المعاني وجسمها تجسيما يبرزها صورا محسوسة تتراءى لعين الخيال تفاجئه بصدمتها وتستحوذ عليه فلا ملجأ له منها حتى ترتكز فيه وتؤدي للفكر المعاني التي افرغت فيها، وهذا هو سر الفنّ وروح الشعر، ومهما كانت هذه الصور الخيالية قريبة المأخذ معهودة الوقوع كانت أقرب الى الصدق وأشد تاثيراً في النفس، مثال ذلك قوله من « ليلة نابغية » وقد أراد تمثيل العذاب الذى يقاسيه في الليل الرهيب عند جفاء الحبيب وقد اخفق في السعي وراء التسلي والعزاء اذ العلل والاسباب التي يلتمسها ليسريّ بها عن قلبه تزيد ما به وكلما سد باباً من أبواب الالم المحض انفتح باب آخر قال:

فيالك من قلب اذا ما تعللت ... قلوب الورى لم يغن عنه التعلل
تعلق الا بالمحال رجاؤه ... وأقسم لا يلهو ولا يتأول
ضمنت كدفاع الضرام لواعجا ... أأنت لنيران اللواعج هيكل
فيامن يراني والفؤاد كانه ... نبيح تشظى في تراقيه منصل
ويامن يراني والظلام كانه ... اذا الليل اغضى قاتل يتزمل
ويامن يراني والنجوم كانها ... نواظر من خوف الغياهب تقفل
كان الفضاء لم ير الشمس مرة ... ولم يسر فيه بدره المتهلل
أبيت ولي ليلان ليل صباحه ... يرجى وليل مدبر الصبح مقبل
اضمد جرحي باليدين وفيهما ... جراح يغشيها النجيع المسلسل
واحمل نفسي وهي ولهى طليحة ... اذا التام منها مقتل سال مقتل
اذا أدبر الليل استرحت وانما ... يوكل بي الليل الذي هو أطول

فليقرأ القارئ هذا البيت:

فيامن يراني والفؤاد كانه ... نبيح تشظى في تراقيه منصل

ثم فليتخيل بعد ـ وهو مجبور على ذلك ـ صورة النبيح الذي بلغت القسوة بذابحه الى أن تكسر المنصل في تراقيه وليتزع الفكر منها ما شاء من معاني العنف والالم والارتعاش.

ومن هذا القبيل قوله:

هل علمت الجمر مفترشاً والصلال السود تحتضن
ذاك أو حمى تضمنها جسد واهي القوى ضمن
تتلقاه بصرعتها فيحار الموت والوهن
بعض ما نلقاه من شجن بك والنوام قد سكنوا
عند ما يخلو الظلام بنا حيث لا عين ولا اذن

فهذه ابيات تتلو امام الخيال صورا متباينة لانواع العذاب وانظروا الى الشاعر كيف شخص الظلام واسند الخلوة اليه كانه الموكل بتعذيبه حيث لا عين ولا أذن، حيث لا منقذ ولا مغيث وفي ذلك ما فيه من انواع الرهبة والهول، وأمثال هذا في شعر العقاد كثيرة يخلص الفكر منها بسهولة الى المعاني المصبوبة في الصور المحسوسة وسرعان ما تنطبع في الذهن وتستقر فيه لقرب الصور من الواقع الملموس ولا حاجة بعد ذلك الى التفنن في ضروب الاغراب والتوغل في أنواع المحال لنفور النفس السليمة منها والاستخفاف بها وحملها على العبث والبهتان.

نرى العقاد كما قلنا يجنح الى الاعتدال والقصد ونراه ايضاً يتوخى الامانة، يصف العقاد كل ما يجول في نفسه ولا يبالي أكان ذلك من اللائق بالعرف المصطلح عليه عند جمهور شعراء الغرام ام كان من المخالف لقواعده أو المناقض لشروطه فما منهم مثلاً الا من حتم طاعة الحبيب والنزول على حكمه جار أم عدل ووصل أم هجر وما منهم الا من يرى التذلل للمعشوق من أسمى ما تسمو اليه النفس العاشقة الا ان بعض الطبائع لا ترضى بالذلة حتى في الحب ولا تخنع لعسف الحبيب ولو بلغ بها الولوع ما بلغ كذلك طبيعة العقاد وهو يخبرنا عن نفسه العاشقة الابية من غير مبالاة ايثاراً للصدق وحباً للامانة يصرح بان من عادته ودأبه أن لا يتلهف على الاحباب المفارقين له فيقول:

يا غاضبا ليس يرضى جاوزت حد التصبي
علام هذا التناءي وفيم هذا التأبي ...
ليهنك اليوم قلب تصيده بعد قلبي
ليس التلهف يوماً على المفارق دأبي

وربما سبق هو الى الهجران فقاطع الحبيب في ساعة الغيظ ولكن سرعان ما تفتر شرة الغضب وتنقشع سحابة الجفاء اذا استعطفه الحبيب وسرعان ما يتفجر الرضى والعطف من قلبه في أبيات سهلة عذبة خلابة يتلطف فيها لحبيبه ويلتمس له المعاذر فيقول:

تخافين العتاب فلا تخافي وترجين المآب غداً فأوبي
فديتك هل رأيت فتى محباً يضن بما رجوت على حبيب
تعالي واطمعي في الصفح مني أليس الصفح من شيم الاريب
وان أسلفت لي ذنباً فأني أحب الله غفار الذنوب
أرى هجريك من غضب عقابا أكابده وما أنا بالمريب
فان أنا جدت بالحسنى فاني أجود بها على قلبي الغضوب

ومن ذا من شعراء الغرام من يفضي الينا بفرحه واغتباطه عند ما ينال رضى الحبيب وينعم بوصله لا نجد في اشعارهم — قاتلهم الله — الا صدى ما يلقونه من البؤس والشقاء أما سعادة الوصال فهم يغارون عليها كما يغارون على احبابهم أو يخشون عليها اصابة العين فهم ابداً يحيطونها بالسكوت والاخفاء كما تحاط النفائس بالتمائم والرقى.

أما العقاد فلا يستأثر علينا بشيء من ذخائر احساسه ولا يستبد دوننا بشيء من كنوز أسراره فاذا غشيه السرور بدت عليه امارات البشر وجرت في اعضائه خفة النشاط ونطق لسانه بقريض النشوة والحبور، مثال ذلك قوله:

ايها الباحث عن كوثره في السماوات لقد شط المزار
انما الكوثر ثغر باسم من حبيب لك مامون النفار
ان تسل عنه فاني دقته خير ما يسقى ويجنى ويشار
لا تقل شهد فللشهد اذى أو تقل خمر فللخمر دوار

وقوله:

قال لي لما عراني فرحي بجنون أنت كذاك الشعراء؟
ما عهدناك لجوجاً نزقا سرك الدهر بشيء أم أساء
قلت فانظر يا حبيبي عجباً كيف بالحب يجن العقلاء
انما الحب شراب عاصف يسكر الراوين والظماء
هات خديك وجيداً وفماً طال والله بنا عهد اللقاء

وهكذا نرى العقاد يفضي الينا بما يقع له من الاحداث الغرامية صغيرها وكبيرها في مقطعات وقصائد تنفث فيها عبقريته روحاً شعرية عالية وتكسوها طلاوة وجمالا. فمن ذلك «تبكين — وردة بلا شوك — منك اليك — عيوب الحب — صافحيني — طلب صورة — اعتراف — تفاح — ساعة في اليد» وغيرها وكلها من لذيذ المناجاة الذي يأخذ بمجامع القلوب.

قلنا ان من المزايا التي يمتاز بها غزل العقاد الصدق وكذلك من